الفصل الأول

تقنيات عبقري النخبة

ساد الاعتقاد لمدة طويلة أن المجتمعات السرية، والمدارس الغامضة، ووكالات الاستخبارات، والمنظمات السرية الأخرى لديها طرائق تعلم متقدمة تفوق تلك الموجودة في معظم الجامعات المرموقة؛ طرائق يقتصر تعليمها على أعضاء قلائل يتم اختيارهم بعد أن يُقسموا جميعًا اليمين بالحفاظ على منهج المجموعة داخليًّا، ولا يكشفون أيًّا من تعاليمه أبدًا للغرباء.

وفي مناسبات نادرة تصل نسائم هذه الأنواع المتقدمة من طرائق التعلم إلى الجمهور ـ عادة بوساطة معلومات تتسرب من (الإنترنت)، وأحيانًا بوساطة كتب منشورة ـ ونادرًا ما تختبر أو تُعطى الاهتمام الذي تستحقه؛ لذا تظل غامضة إلى حد كبير، ومن أسباب ذلك أن الطرائق المتقدمة غالبًا ليست مفهومة؛ لأن أيًّا كان وراء هذه الطرائق فإنه يخفي المنهج بأكمله.

يوجد العديد من الحكايات عن شخصيات غامضة من مجموعات سرية تتقن المهارات، واللغات وحتى الطرق المعقدة للوظيفة، وبعضهم

يقول لك مباشرة باستحالة تقديمها، لكن هذا الرأي يفترض أننا نحن عامة الناس نعرف أو يمكننا الوصول إلى طرائق التعلم جميعها التي عرفها الإنسان.

إذا افترضنا وجود طرائق تعلم متفوقة لا تُستخدم في نظامنا التربوي السائد حاليًّا، فهذا يقودنا بصورة طبيعية إلى أسئلة أخرى، من مثل:

- ماذا لو كان التعليم الممتاز لطفلك في الحقيقة تعليمًا من الدرجة الثانية؟
- أو لو كنت طالبًا، ماذا لو أن ذلك الأستاذ الذي تحترمه لا يتحلى بالألمعية، بل هو مجرد أداة في مؤسسة تعليمية رديئة؟

لا شيء من ذلك يدعو إلى عدم احترام التعليم الرسمي؛ فهو يؤدي دورًا حيويًّا في المجتمع وفي إصلاح الجنس البشري، ولا يشكك بأهمية الحصول على التعليم الجيد إلا الأحمق، إضافة إلى أننا لا ننفي وجود مؤسسة تعليمية استثنائية تعلم على الأقل بعض تقنيات التعليم المتسارعة، بالرغم من أن مثل هذه المؤسسات قد توجد في مرابع التعليم الرسمي.

من المحتمل أن يكون نظام مركز منتسوري مثالًا على هذا النوع؛ إذ يتيح للأطفال حرية التعبير بصورة كبيرة، فضلًا عن أنهم يتعلمون بطريقة اللعب وحركة الجسد.

من ضمن الخريجين الناجحين في نظام منتسوري التعليمي مؤسس موقع أمازون جيف بيزوس وغابرييل غارسيا ماركيز، الحائز على جائزة نوبل ومؤسسا ويكيبيديا سيرجب برن ولاري بيج، وبطل التنس روجر فيديرر.

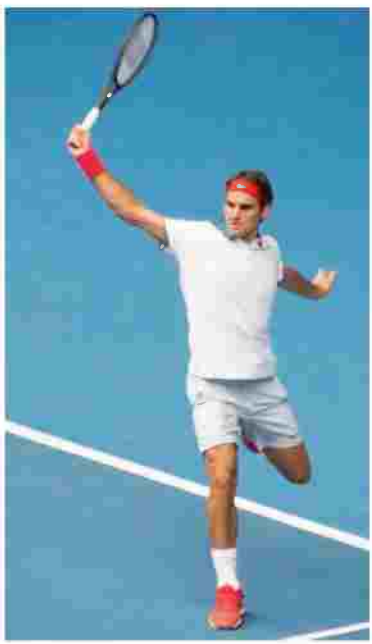

روجر فيديرر... أحد الخريجين في منتسوري

بوجه عام، الاحتمال الأكبر أن تجد الطرائق المتسارعة للتعليم خارج نظام التعليم الحديث.

دعونا نواجه هذا الأمر، فحيثما تذهب في هذا العالم، تجد المعجزات الحقيقية هي الاستثناء وليست القاعدة المعيارية في

النظام الحالي، وهؤلاء الأفراد النادرون الذين يطلق عليهم المجتمع وصف عباقرة هم دائمًا استثناءات الطبيعة، وموهوبون بالفطرة، وليسوا طلابًا مجتهدين أصبحوا عباقرة نتيجة لتعليمهم.

«سأكون عبقريًّا وسيعجب العالم بي، ربما أُحتقر ويساء فهمي، لكن سأكون عبقريًّا».

فقرة كتبت في مذكراته وهو في السادسة عشرة من عمره.

سلفادور دالي

* * *